محمد غني حكمت: شيخ الحجر السومري

محمد غني حكمت، القابض على الطين قبل ان يَضُمُّه التراب بين ثناياه، في هجعته الأخيرة في مقبرة الكرخ، هو شيخ الحجر السومري. رحل يوم الثاني عشر من شهر ايلول لعام ٢٠١١ في عمان، ودُفِن، كما أوصى، بين غَرِي دجلة والفرات.

ومنذ مطلع الخمسينيات يوم تخَرّج من معهد الفنون، عزم على زرع الفضاء بالنُصُب، مقلدا الأجداد، وباعثاً فنهم.

وبسبب أحابيل السياسة، وآلة الحرب أوغل في الترميز بالحجر والسكين، عاكفا على التلميح لا التصريح، حتى أنطق الطين.

ورغم ان غني تخصص في البرونز في فلورنسا منذ الستينيات، وأتاح له فنه التعايش مع ثقافات وأساليب، لكنه أخلص في ثيماته للفن الرافديني، ولم تركبه موجة التغريب، وطوع الحداثة لرموزه وليس العكس، فأينع إبداعه عن أعمال عراقية القلب والقالب، كما شهرزاد وشهريار، وكهرمانة والأربعين حرامي، والمتنبي وحمورابي والجنية في مدخل فندق الرشيد.

جسد ألوان الطيف العراقي على الحجر حين نحت أربع عشرة لوحة في إحدى كنائس بغداد، مخلدا روح التآلف المسلمة مع الذات المسيحية، بحسب وصف رجل دين ايطالي أدهشته بوابات منظمة اليونيسف التي نحتها غني في باريس، وبوابات خشبية لكنيسة في روما، ليكون بذلك أول نحّات مسلم ينحت أبواب الكنائس الكبرى.

باسم الفن الرافديني أنطق الحجر الأصم، فنحت جدارية الثورة العربية في عمان، وطرز بفنه مسجداً قديماً في البحرين.

رحيل غني، غياب جسد، فالروح باقية في أعمال لم يمهله القدر لمشاهدتها منتصبة وهي «بغداد» في ساحة الأندلس، و«إنقاذ العراق» في المنصور، و«الفانوس السحريّ» في ساحة المسرح الوطني، و«أشعار بغداد» في الكاظمية والمجسّدة لبيت شعري لمصطفى جمال الدين:

بغداد ما اشتبكت عليك الأعصرُ إلا ذوت ووريق عمرك أخضرُ

حَريّ بكل هذا الانجاز ان يخلد ذكرى رجل غيبه الموت جسدا، لكنه يظل روحا، تحتفي بها نُصُبه والتماثيل.

في الصورة النحات محمد غني حكمت (يساراً) بصحبة النحات جواد سليم في الوسط اثناء العمل على تكبير وصب نصب الحرية في مدينة فلورنسا الايطالية عام ١٩٥٩

أستاذي وصديقي محمد غني حكمت

سهيل الهنداوي

كانت كلمات الوداع آخر عباراته التي سمعتها ونطق بها استاذي وصديقي النحات والانسان محمد غني حكمت. وذلك في وداعه ورفيقة دربه ام ياسر لنا ليلة مغادرة الاردن عام ٢٠٠٨، ولم اكن اعرف ان ذلك هو اللقاء الأخير الذي يجمعني به فكان وداعا ودعاءا على امل لقاء قريب ولكن....

هذه الحياة ومنذ الخليقة والتي دعت جلجامش ان يبحث عن سر الخلود فيها..ولكن عبثاً. فقد عثر على ظالته في الخلود ان يكون له اثر بعده ليكون شاهدا مشهودا عليه.

لقد ابحر محمد غني الى ارجاء المعمورة باحثا عن سر الخلود فوجده في موروث بلاده الضخم متنقلاً بين سومر واكد وبابل وآشور والعباسيين الذين الهموه اجمل ما في لياليهم من حب وعشق فامتشق ازميله وبدأ بازاحة الغبار عن ذلك الموروث الهائل ليصوغ به وبنظرته الثاقبة ابداعا دونه وبمهارة على ساحات وفي بيوت بغداد التي احبها واحبته حاملا ثمرة جهده لعواصم واصقاع شتى من العالم متقلبا ما بين التعب والراحة تسانده وتشد من ازره رفيقة حياته غاية الرحال ام ياسر وهاجر.

منذ الطفولة المبكرة كانت تطرق مسامعي اسماءا لفنانين عالميين ومبدعين عراقيين او نقرأ عنهم في قصاصات الصحف والمجلات التي تصل قليلا الى تلك البلدة (الصويرة) فكانت لدي معرفة اولية بهم فكانوا يمثلون بنيانا شامخا لفنى العراق بعطاء متميز ومبدع فكان جواد سليم وفائق حسن وخالد الرحال ومحمد غني واسماعيل الشيخلي وحافظ الدروبي وكثيرون غيرهم هم البناة الاوائل لصرح الحركة التشكيلية العراقية المعاصرة.

منتصف عام ١٩٦٦ كانت موعد التقديم للقبول في اكاديمية الفنون الجميلة «كلية الفنون حاليا» حينها وجدت نفسي وجها لوجه امام اولئك العمالقة فها هو فائق حسن يناقش إسماعيل الشيخلي بينما يدخل معهم في الحوار محمد غني ويداه باتجاه تماثيل جبسية موزعة على زوايا القاعة المعدة للاختبار.. وبعد القبول في الاكاديمية واجتياز السنة الدراسية الاولى (دراسة تمهيدية للفنون) كان علينا مواجهة لجنة صارمة نمر من خلالها للتخصص في فروع الفن الرسم النحت السيراميك. وقد اصر محمد غني وكان رئيس فرع النحت حينها على دخولي فرع النحت رغم اني كنت مؤهلا لاختيار الفرع الذي اريده لحيازتي على درجات عالية في الاختصاصات الثلاث. وكان لحماس الاستاذ محمد غني الذي يتطابق ورغبتي الملحة لدخول فرع النحت هي الخطوة الاولى لمسيرتي الفنية فكنت مباشرة امام محمد غني وعبد الرحمن الكيلاني والاخرين في فرع النحت وكان استاذي محمد غني يفرد لي وقتا اضافيا في فترة الاستراحة لتوضيح بعض الامور التقنية التي كنت اجهلها حينها وكان يحرص ان يكون دائما قريبا من عملي ويجد متعة في اعطائي الملاحظات ومتابعة تطور عملي.

ومن الاحداث التي لا زالت راسخة في مخيلتي هي زيارتي الاولى لمشغل الفنان محمد غني في المنصور وكنت حينها في الصف الثاني في الاكاديمية وقد اصطحبني اليه التلميذ المبدع منقذ الشريدة وكان حينها في الصف المنتهي من الاكاديمية وعند دخولي المحترف انتابني شعور لم اصادفه من قبل حيث جو العمل على اشده فهذا الكم الهائل من النماذج والماكيتات وهناك بناء كبير وشامخ تحيطه السقالات لاحد الاعمال التي هو بصدد انجازها لينصب في احدى ساحات بغداد، وفي زاوية الاستوديو كان هناك مكان للجلوس يحوي على مقاعد تحيطها مجسمات وتخطيطات لمشاريع موزعة على الجدران وجهاز تسجيل اسمعنا منه موسيقاه وغناءه المحبب وهي المقامات العراقية واسمعني تحديدا اغنيته المفضلة (يا زارع البزرنكوش ازرع لنا حنة) وقال لي انه بصدد ان يعمل منها موضوع نحتي جداري قريبا.

وعند تناولنا القهوة التي جهزها لنا بيديه كنا نصغي اليه وهو مسترسل في احاديثه واصفا لنا الباب والشبابيك المتكأة على الجدار الذي خلفه المزركشة والمنقوشة والمعشقة بالزجاج الملوّن الذي يعلوها وقال لي بغيظ انه اقتناها من احد محلات (الخردة) في الكاظمية التي ولد فيها وترعرع بها وانها تذكره بطفولته هناك.

وبعد الدخول في زحام الحركة التشكيلية العراقية العملاقة متقصيا تجارب رموزها الكبار كان اقربهم لي هو استاذي محمد غني حيث زاولنا نشاطنا في مجال النحت وعلى مدى اكثر من عقدين من السنين وذروتها كانت تسجيل احداث الحرب بين العراق وايران وكذلك الاعداد لاعمال تتوزع على ساحات بغداد وبعض المحافظات فكانت لقاءاتنا متكررة ومستمرة وكذلك عملنا سوية في الجانب المهني وخاصة حينما تم اختيار محمد غني لرئاسة اللجنة الوطنية العراقية وكنت انذاك احد اعضاءها.

بعد احتلال العراق غادرنا محمد غني وانا لما آلت اليه الظروف انذاك. وكانت لقائاتنا متكررة حيث كان كلانا مهيأً لاقامة معرض شخصي ولانجاز ما تم تنفيذه من افكار ومقترحات فكنا نبقى سوية فترات ليست بالقصيرة نعود بالذاكرة للعراق وما انجزناه وما دمر وحطم وسرق، فكان حديثا يشوبه الالم والمرارة ولكن لم يغادرنا الاصرار ولو للحظة واحدة وخاصة استاذي وصديقي محمد غني الذي كان كثير المثابرة والتفاؤل رغم التعب الذي بدى واضحا عليه في الفترة الاخيرة.

عند افتتاح معرضي الشخصي في قاعة الاورفلي نهاية عام ٢٠٠٦ كان محمد غني اول الحاضرين وكان مبتهجا واحتضنني بحرارة وبعدها امسك يدي بكلتا يديه وقال بصوت مسموع امام الحضور وبلهجته البغدادية المحببة «هذا سهيل آني ابارم بيه».

وبعد سفري عام ٢٠٠٨ كانت المكالمات التلفونية مستمرة بيننا وكنا نتحدث عن امور النحت والعراق وكان يتابع ما كلفني به آخر زياراته لي في عمان قبل مغادرتي لها حيث وقف منتفضا وقال بنبرة صارمة «سهيل اريد اتسويلي بورتريه وهذا لا تعتبره لمحمد غني لكن للنحت العراقي» بعدها انجزت التمثال ولم اعد اسمع صوت استاذي وصديقي، الا اني على يقين ان نجم العراق محمد غني حكمت سيظل يضيء بنوره آفاق الفن العراقي حاضرا ومستقبلا.

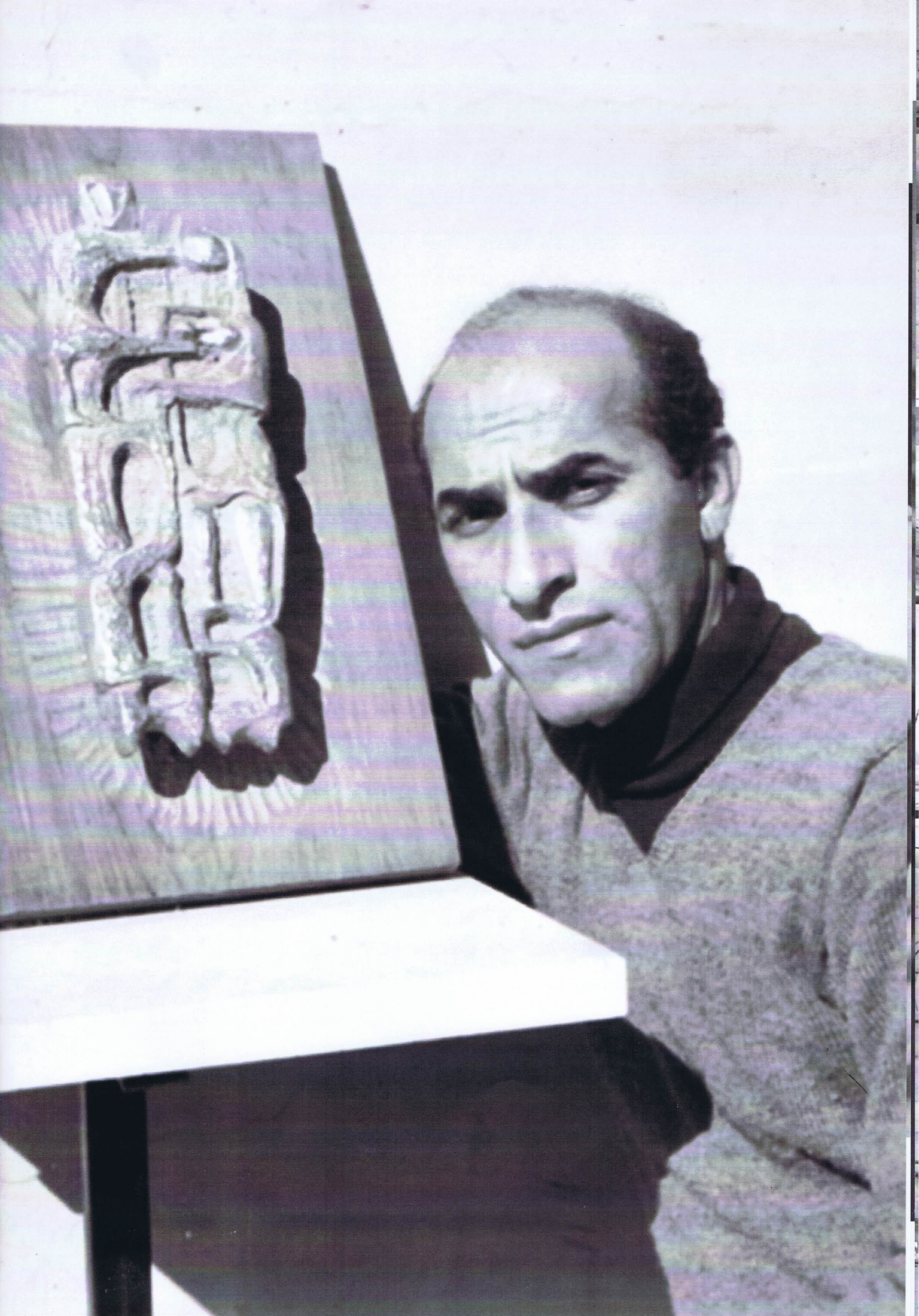

محترف الفنان محمد غني حكمت

سهيل سامي نادر

يقدم المحترف الفني لمحمد غني حكمت صورة مقنعة عن اسلوبه الفني اكثر مما تقدمه اعماله المعروضة في هذا المعرض او ذاك، او تلك المنفذة في الشوارع والساحات. ففي محترفه نجد كل شيء تقريبا : مصغرات أعماله النحتية الكبيرة، تخطيطاته التي يعتمدها في تصميم اعماله النحتية، صور فوتغرافية، موتيفات منفذة بالبرونز، منحوتات خشبية صغيرة. حتى اننا نستطيع ان نتعرف على ابوابه الخشبية الشهيرة ليس من خلال حضورها الكامل، بل بإسلوب تنفيذها، وتقنية الحفر الى الداخل والخارج التي يعتمدها.

والحال أن هذا المحترف المليء دائما، والذي لا يفرغ، هو المكان الوحيد الذي كان الفنان يشعر به باطمئنان، فحيثما يستدير كان يجد نسقه الخاص في الاداء والتنفيذ، وأسلوبه الفني في البناء، والاشكال الاثيرة لديه، مودعة في كل اعماله. إنه محترف مترابط، نسقي جدا، مشروح، وتكاد كل قطعة منه تشير الى الاخرى وتكملها. إن اقتصاديات الفنان الاساسية، في الحالة هذه، معلومة، أرست قيّما فنية مستقرة وقادرة على أن تعيد انتاج نفسها بنفسها تلقائيا. أعتقد أنه محترف يدعوه الى الاطمئنان دائما الى انه في بيته الفني الذي لا يحب مغادرته، وإذا ما فعل، فلكي يعود اليه.

يودع الفنان محمد غني حكمت في أعماله كله تواقيع خواطرية ذات مضمون عاطفي. إن أعماله كلها تخضع لهذه التواقيع والعلامات، وأظنه يضعها أثناء إعداد التخطيط الورقي أو يسجلها في ذاكرته. إنه بوجه عام لا يترك سطحا لجسد تمثال الا ويستخدمه على نحو عاطفي بوضع خطوط بيضوية تتصف بالحركة على جسده.

والحال نجد هذا الاسلوب على نحو أوضح في موتيفاته البرونزية، فهي لا تشكل كتلا محددة، نظرا لوجود عدد كبير من الحافات الداخلية، وهي من قبيل انشغال عاطفي تعبيري وحركي لا يهدأ. وكما يبدو أن هذه الموتيفات ذات مرجع تخطيطي ورقي، وهي عندما تكسى بمادة صلبة لا تغير الكثير من اسلوبيتها العاطفية.

الكثير من التخطيطات الورقية للفنان لا تعد من قبيل التجارب، فقوالبه النحتية تأتي منها، وتكاد أن تكون متطابقة معها، ويمكن توقع مآلها عند التنفيذ. على يديه هي لا تأخذ جسدا، ومادة، وكتلة، وثقلا ووزنا، فحسب، بل اسلوبية عاطفية لا تخطئها العين قبل كل شيء، تعود اليه وحده. التماثيل الكبيرة ما أن تنتصب بحجمها المضاعف، حتى يبدو مرآها البصري في حالة من الحركة الداخلية بسبب الحافات الداخلية، ويبدو لي أن الفنان، بسبب انفعالي، يضعف الحافات الخارجية بخطوط تزويقية يمتلئ بها سطح المنحوتة، وهي بوجه عام تكاد ان تكون خطوط رسام وخطاط.